مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 22 العدد01 2026/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المشروع التنصيري الاستعماري بمنطقة مزاب وردود الفعل المحلية. (1884–1962)

The colonial missionary project in the M'zab region and local reactions (1962-1884)

ط د علي أوجانه[1] *

[1] جامعة غرداية، الجزائر

مخبر التراث والذاكرة للبحث في صحراء الجزائر والغرب الإسلامي.

oudjana.ali@univ-ghardaia.dz

د/ أحمد جعفري[2]

[2] جامعة غرداية، الجزائر

مخبر التراث والذاكرة للبحث في صحراء الجزائر والغرب الإسلامي .

jaafria551@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/09/18 **تاريخ القبول: 2025/12/12**

ملخص:

قام الاستعمار الفرنسي للجزائر على عدّة ركائز منها المادي لتحقيق السيطرة الاقتصادية، والآخر معنوي بالقضاء على مقومات الشعب الجزائري على رأسها الدين الإسلامي، منتهجة سياسة التنصير بأساليب ووسائل متعددة منها التعليم التبشيري، حيث تغلغلت ووصلت إلى الجنوب الجزائري والى منطقة مزاب، فجسّد المنصرون استراتيجية متكاملة تهدف لاستدراجهم ثم التأثير للوصول إلى هدم مقوماتهم الشخصية الدينية والثقافية والاجتماعية، غير أنه لقي مقاومة واسعة عبّر عنها سكانها بشتى الوسائل والممارسات.

يهدف المقال إلى تعليل أسباب اهتمام المنصرين بمنطقة مزاب خصوصا، وتحليل نوايا المشروع التعليمي التنصيري في المنطقة، وتتبّع مراحل تطوره وخصائصه التي تضمن نجاحه، ثم كشف الدسائس التنصيرية ومظاهر المقاومة الثقافية لسكان هذه المنطقة بمختلف أشكالها ومستوياتها. وقد برز جليا في النهاية أن المنصرين راهنوا بشكل كبير على فتح المدارس بما لديهم من إمكانيات، مستعملين دسائس للتسلل إلى قلوب أبناء وفتيات الجزائريين، غير أن هذا المشروع واجه تحفّظا ومقاومة شديدة من أهالي المنطقة.

الكلمات الدالة: الآباء البيض؛ الإرساليات التنصيرية؛ التعليم التنصيري؛ وادي مزاب؛ المقاومة الثقافية.

---

* **المؤلف المرسل**: علي أوجانة، **الايميل**: oudjana.ali@univ-ghardaia.dz

Abstract:

The French colonization of Algeria was based on several pillars, including the physical one, to achieve economic control, the moral one, to eliminate the components of the Algerian people, most notably the Islamic religion, adopting a policy of Christianization through various methods and means, including missionary education, where it penetrated and reached southern Algeria and the Mzab region, so the missionaries embodied an integrated strategy aimed at acceptance and then influence in order to destroy their personal religious, cultural and social components. However, it was met with widespread resistance expressed by its residents through various means and practices.

The article aims to explain the reasons for the missionaries' interest in the Mzab region in particular, analyzes the intentions of the missionary educational project in the Mzab region, and traces the stages of its development and characteristics that guarantee its success, then reveals the missionary intrigues and manifestations of cultural resistance of the residents of the Mzab region in its various forms and levels. It became clear in the end that the missionaries had bet heavily on opening schools with their capabilities, using machinations to infiltrate the hearts of Algerian boys and girls. However, this project faced reservations and strong resistance from the people of the region.

Keywords: White fathers; missionaries; christian education; the Mzab region; cultural resistance.

مقدمة:

حملت سفن الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 جنودا ورجال دين وقساوسة الباحثين عن المجد المسيحي بإعادة تراب هذه الأرض إلى الأقليات المسيحية و"تطهيرها" من الوجود الإسلامي؛ وبما أن الأولوية كانت السيطرة العسكرية لفرض الأمن بهدف القضاء على الجانب الاجتماعي متمثلا في تفكيك بنيتها القبلية، ليأتي الدور في المرحلة الثانية على الجانب الروحي والحضاري الذي يعتبر ركيزة من ركائز الاستعمار، للوصول إلى الإدماج الكلي، حيث وبمجرد استسلام الداي حسين في جويلية 1830، اتضحت بعض معالم المشروع التنصيري على أرض الواقع، بطمس المعالم والرموز الإسلامية من هدم المساجد أو تحويلها إلى أغراض شتى خدمة للمنظومة الاستعمارية، بالإضافة إلى الاهتمام بالآثار، واستغلت المجاعات للتنصير، وبنت الكنائس، تمهيدا لنشر المسيحية والعمل تدريجيا على القضاء على الإسلام، ولأجل تكريس الشمولية

في التنصير، فقد تم إرسال الإرساليات التنصيرية إلى مختلف الجهات، بما فيها الجنوب، وتعتبر منطقة مزاب (الباحثين، 2008، الصفحات 951-953)(†) من المناطق المستهدفة منذ استقرار المنصّرين فعليا بقصر غرداية في1884 ، فتعددت الممارسات التنصيرية وأخذت أشكالا عديدة منها بناء دور العبادة، أو إقامة مراكز تعليمية عامة ومتخصصة، بالإضافة إلى دور للعلاج المجانية، وغيرها، غير أن ركيزة هذه المشروع قامت على النشاط الثقافي –الذي يعتبر التعليم أهم أركانه– مما تولّد عنه ردود فعل رافضة، مدركة لنواياه الحقيقية وكاشفة لدسائسه. وبناء على هذا فإننا سنحاول الإجابة على جملة من الإشكالية التالية: لماذا اهتم المشروع التنصيري بالصحراء عموما وبمنطقة مزاب خصوصا؟ ولماذا اعتبر النشاط التعليمي الركيزة الأساسية في إستراتيجية التنصير؟

وقد تفرعت عنها أسئلة فرعية:

كيف سعوا الى تجسيد غاياتهم؟ إلى أي مدى تحققت مقاصدهم بين سكان المنطقة؟ وفيم تمثلت مظاهر الرفض وأشكاله عند سكان المنطقة؟

يهدف المقال إلى تحليل الأهداف والغايات من التعليم التنصيري في مزاب، ودراسة معالم الإستراتيجية التعليمية للآباء والأخوات البيض في مزاب ومميزاتها، وكشف الدسائس ومظاهر المقاومة الثقافية لسكان مزاب.

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي، إضافة إلى المنهج التحليلي لكشف نواياه وأغراضه، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي لتتبع تطور هذا التعليم لإدراك مدى نجاحه أو فشله.

(†) مزاب، أو بلاد الشبكة، تقع على بعد 600 كلم جنوب الجزائر العاصمة، شيد بها المزابيون مدنا وقصورا عديدة، بقيت منها سبع، هي بحسب ترتيب تأسيسها كالتالي: العطف " تاجنينت"، بنورة "آت بنور"، غرداية" تغردايت"، مليكة " آت مليشت"، بني يسجن" آت ازجن"، القرارة "تيقرار"، بريان" برقان".

أولا: بداية التنصير في الجنوب وفي منطقة مزاب

قامت إستراتيجية المشروع التنصيري في الجزائر على الشمولية، فسعت إلى الوصول إلى أبعد ما يمكن، خاصة في فترة الكاردينال لافيجري 1867-1892، فبعد أن ثبّت أقدام المنصّرين في التل، وجّه اهتمامه في المرحلة الثانية للوصول إلى الصحراء، وباعتبار بعد المسافة للوصول إليها، فقد عمل على إنشاء مراكز متقدمة للتبشير في الصحراء، حيث وصل إلى الأغواط سنة1870 (سعيدي، دت، صفحة 318)1870.

لم تختلف إستراتيجية المنصرين في إرسالياتهم إلى الصحراء عن استراتيجيه العسكريين في حملاتهم التوسعية، فالمرحلة الأولى كانت استكشافية علمية تهدف إلى معرفة المنطقة طبيعيا واثنولوجيا وتاريخيا لأخذ صورة متكاملة وبلورة طريقة التعامل والتوغل انطلاقا من نقاط القوة والضعف، ولهذا فقد توجه الأب شارمونتا "Charmentain" سنة 1872 من الأغواط (وهي آخر نقطة للاحتلال) نحو منطقة مزاب، واستغرقت رحلته شهرا كاملا، مدوّنا ملاحظاته التي لخّص فيها نظام حياة السكان بالمنطقة من مزابيين وشعانبة (من قبائل سيدي الشيخ.) حيث تمكن من ربط علاقات مع الشعانبة (سعيدي، دت، الصفحات 320-321) وبعد ثلاثة سنوات من تعايش الآباء مع الشعانبة والميزابيين تعرّفوا على نمط عيشهم فكتبوا عن ذلك تقارير استغلها فيما بعد جيش الاحتلال الفرنسي في بسط نفوذه على أقاصي الصحراء الجزائرية (سعيدي، دت، صفحة 322) فقد كان الآباء البيض في خدمة الضباط العسكريين مما يؤكد الترابط بين وسائل الحركة الاستعمارية وغاياتها.

إن استقرار الإرساليات التنصيرية في مزاب كانت نتيجة لجهود كبيرة بُذلت طيلة اثنتي عشر سنة من 1872 إلى 1884، وتعود أول محاولة للاستقرار إلى سنة 1872 عندما استطاع المنصرون شراء مسكن وقطعة ارض أسفل قصر مليكة القريبة من غرداية، إلا أن هذا الاستقرار أثار حفيظة السكان المزابيين، فأُجبر المنصرون على ترك مزاب والانتقال إلى متليلي التي تقع على حوالي 34 كيلومتر من جنوب غرداية، حيث فتحوا مركزا لهم في 1874، ولم ينجحوا في الاستقرار بغرداية إلا بعد إلحاق مزاب بالاحتلال الفرنسي سنة 1882 (Abrous, 2007, p. 87)، حيث تحوّلوا من متليلي إلى قصر غرداية يوم 15 جانفي 1884، ولم يجد المنصرون مأوى إلا منزلا قاموا بكرائه من يهودي في حي اليهود (لعواد ، 2018-2019، صفحة 127).

من بين أسباب اهتمام المنصرين بمنطقة مزاب الامازيغ هو الاعتقاد السائد لدى المسيحيين أن بلاد الأمازيغ في المغرب أكثر قابلية للتنصير، ويدل ذلك ما تنشره مجلتهم الصادرة في الجزائر تحت اسم "في العالم الإسلامي" "En Terre d'Islam" حيث قال الكاتب الأب "فوكا" وهو الذي كان بميزاب، تحت عنوان "الوجوب والإسراع بالتنصير ببلاد البربر" ما يلي: «إن أول ما يلاحظ أن تمسيح برابر المغرب ممكن وواجب، والتنصير يكون أنجح في البلاد المغربية منه في بقية البلاد الإسلامية لأن أهالي المغرب أقل تمسكا بالديانة الإسلامية والشريعة المحمّدية من غيرهم، فبلاد المغرب اليوم أقل معاكسة لنا من بقية البلاد الإسلامية. وأبسط مسيحي قادر على أن يقوم بالتنصير في هذه البلاد بنجاح كنجاح أكبر قسيس قام بذلك» (بوجناح، 1927، صفحة 2) مما يدل على دراسة وافية للتركيبة البشرية للجزائر،

لم يكن التعليم التنصيري الموجه للجزائريين قبل 1904 منتشرا في كامل أرجاء البلاد، بل كانت المدارس التنصيرية موجهة إلى سكان مناطق معينة ومحدودة من الجزائر، وهذه المناطق هي منطقة جرجرة والأوراس وبني مزاب اعتقادا بأنهم سيحققون نجاحا ملموسا في عملهم التنصيري بين سكانها، واستندوا في اختيارهم لمكان هذه المناطق إلى حجتين هما: أما أحدهما فإن أصل سكان هذه المناطق هم أمازيغ وليسوا عربا مما يسهّل فصلهم عن البقية وتنصيرهم بسرعة، أما السبب الثاني فيرتبط بالأول من حيث لغة سكان هذه المناطق ليست العربية مما يجعل فصلهم عن بقية السكان المتكلمين بها سهلا (الطاهر، 1988-1989، الصفحات 43-44) مشروعهم التنصيري عموما انطلق على فرضيات وخلفيات استعمارية تربط بين اللغة والدين، وأن غير العرب أقل تدينا.

ثانيا: النشاط التعليمي من أسس إستراتيجية المنصرين ووسائلهم:

يضع المنصّرون في سبيل تجسيد رسالتهم الحضارية المزعومة في ترقية الشعب الجزائري أسسا ومراحل دقيقة يجب إتباعها، ويلخصها لافيجري في قوله: «فأول خطوة يجب القيام بها هي الحيلولة بينهم وبين القرآن، ينبغي لنا على الأقل أن نهتم بالصبيان، وندخل في عقولهم تعاليم الإنجيل وبعد هذا يمكن أن نخالطهم» (البوعبدلي، 10-22جوان 1973، صفحة 1343).

ويقول أيضا: «إن التاريخ والإنجيل يؤكدان لنا أنه من العار على فرنسا أن تترك الأهالي في حضيرة القرآن» (البوعبدلي، 10-22جوان 1973، صفحة 1443) فالأسس هي الصبيان والتعليم، البداية بابعادهم عن القرآن بما في ذلك تهميش اللغة العربية والقضاء عليها بالإضافة إلى استغلال الصبيان الذين لم

تترسخ فيهم العقيدة، فقد استغل المنصرون فاقة الجزائريين وحاجتهم فقاما بإغرائهم واستدراجهم بأن يفتحوا لهم أبواب مدارسهم مجانا.

كما أن المنصرين يختارون أماكن عملهم بعناية، مستثمرين فيها وضعية الشعب الجزائري وظروفهم المزرية ولو كانوا يعيشون في مناطق بعيدة، حيث يكشف الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم في مقال في جريدة "الأمة" الأسباب التالية: «ولأجل نيل مبتغاهم من طرق مختصرة سهلة تراهم يرتادون دائما واقع الضعف ومراتع الجهل فيحطون فيها رحالهم، ويتخذون منها مراكز لأعمالهم، لا يعوقهم عن ذلك عائق البعد والمناخ أو تكبّد المصاريف الباهظة، فإنهم يجدون أمامهم من المنشطات المادية الأدبية ما يذلّل لهم كل عقبة ويعبّد لهم كل طريق، وبكل سهولة تفهم إذا لماذا يوجهون نشاطهم في الغالب إلى أراضي الجنوب؛ ولا سيما الأغواط؛ غارداية؛ القليعة؛ وارجلان؛ وغيرها؛ حيث الضعف؛ والمرض؛ والجهل» (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1) فنشاط المنصرين كان يتسلل تحت ذريعة تغطية هذه النقائص وتقديم المساعدات، وتوفير العلاج والتعليم بالمجان، من اجل استعطاف الجزائريين وكسب ودّهم، ونشر دسائسهم بعد ذلك.

كما حاول المنصرون محاربة المسلمين الجزائريين بدينهم ولغتهم، فكانوا مزودين بمعرفة شاملة للسكان من حيث لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فلم يكن المبشر ولا المعلم في المدارس المسيحية ذو رصيد ديني محدود، بل أغلبهم علماء، تعلّموا جيدا ديانتهم وديانة الأهالي وتراثهم وتوسعوا في المعارف ومنهم من يحسن اللغة العربية ويحفظ آيات من القرآن الكريم، فهم تعلّموا وتعلموا كيف يعلمون (بوجناح، 1927، صفحة 2).

وقبل بلوغ المنصرين إلى مرحلة التنظيم الشامل وبناء المؤسسات والمدارس، فإنهم اعتمدوا على التدرج في الوصول إلى هدفهم، فيبدؤون بالتقرب إلى أعيانها، وموظفيها، ويفتحون محلات يوهمون الناس بأنها سكناهم ومحلات عبادتهم ومأوى الفقراء والمساكين والضعفاء، ولكنهم يتخذون تلك الخلوات شرَكًا لجلب الناس إليها، فهم يبدؤون بالفقراء والمساكين الذين أتعبهم الدهر فيرتمون في أحضانهم، ويظهرون عطفهم (بوجناح، 1927، صفحة 2).

ثالثا: أنواع المؤسسات التعليمية للمبشرين:

يمكن تقسيم مدارس المنصرين إلى نوعين هما مدارس التعليم العام؛ وأخرى للتعليم المهني، أما مدارس التعليم فإن نواتها كانت منزل هؤلاء المنصرين، حيث بمجرد استقرار الآباء البيض في منطقة مزاب قاموا في

جانفي 1884 بفتح مدرسة في غرداية، ولم يتردد عليها سوى عشرون تلميذا من اليهود والعرب (Abrous, 2007, p. 94)، وكانت في منزلهم.

ومن أجل التقرّب أكثر إلى المسلمين، فقد استأجر الآباء البيض منزلا في حي باب الراعي بوسط المدينة سنة 1903، خصصوا فيه قسما للمزابيين للتقرب منهم أكثر ولجلب أكبر عدد منهم إلى المدرسة (داود، 2016، صفحة 132)، كما كانت هناك مبادرة من الآباء البيض إلى تعليم اللغة الفرنسية في الفترة المسائية سنة 1905، وازداد بذلك عدد التلاميذ (داود، 2016، صفحة 136)، وشملت فيما بعد القسم التحضيري والمرحلة الابتدائية من طرف الأخوات البيض، ومدرسة إكماليه للآباء البيض سنة 1956، فكانت مستويات التعليم في مدارس المنصرين متكاملة تتمثل في المستوى التحضيري والابتدائي والتكميلي.

عمل المنصرون على استقطاب أكبر عدد من التلاميذ، فقد أسّس الآباء البيض مدارس للذكور بهدف التكوين المهني، وأخرى خاصة للإناث، وكانت ورشة الإناث في بداية الأمر في بيت صغير في شارع عفافرة في شهر جانفي1893 (لعواد، 2018-2019، صفحة 135)، تديره الأخوات البيض، كان يستقبل حوالي أربعين فتاة أغلبهن من المذابيح، يتعلمن الخياطة والغزل والنسيج (بن بكير، 2006، صفحة 165).

أما تطور أعداد التلاميذ، فلقد مرت سنوات التعليم في مراحلها الأولى بصعوبة بـ 15 تلميذا، وبعد 10 سنوات بلغ حوالي المائة، لكن الذين يواظبون على الحضور يوميا لا يتعدى 75 مسجلا، نظرا لعدم تقييد وتساهل الآباء في حضور التلاميذ، وفي أكتوبر 1896 اشتكى الأب قريزي Grisey من مغادرة التلاميذ لمدرسته والتحاقهم بمدرسة البلدية (بن بكير، 2006، صفحة 164)، كما أن قلة من المزابيين كانت تتوافد عليها بتحفظ شديد، وتأخذ المقاعد الخلفية في القسم((داود، 2016، صفحة 130) وفي السنة الدراسية 1924-1924 استقبلت 98 طفلا منهم 81 من بني مزاب، وكان مركز الأخوات البيض لرعاية الأطفال وتعليم الصناعات اليدوية والحرفية قد ضمّ ما عدده 64 متربصة جزائرية منهن بنتان مزابيتان (موسى، 2015، صفحة 261) وفي سنة 1932، كان عدد التلاميذ بمدرسة الآباء البيض بغرداية مائة وعشرين، نصفهم إباضية ونصفهم مالكية، وفي 1933، ارتفع العدد إلى مائة وخمسين، وأعيد بناء المدرسة، وفي 1938، بلغ العدد مائة وتسعين تلميذا (بن بكير، 2006، صفحة 211)

تزايد عدد التلاميذ مع مرور الزمن، ففي إحصاء 01 أكتوبر 1956 في مدرسة الآباء البيض في غرداية بلغ عدد الأقسام 6، وعدد التلاميذ 259، أما في مدرسة الأخوات البيض (تعليم عام) فإن عدد الأقسام 4، وعدد التلاميذ 110، وفيما يخص مدرسة الأخوات البيض (تعليم منزلي ونسيج) فعدد الأقسام هو 3، أما عدد التلاميذ 66، وحسب إحصاء سنتي 1958-1959 ففي مدرسة الآباء البيض 276 تلميذا عام 1958، و312 عام 1959، وفي مدرسة الأخوات البيض 151 تلميذة عام 1958، و158 عام 1959 من بينهن عشر ميزابيات» (بن بكير، 2006، صفحة 211).

نلاحظ من خلال هذا الإحصائيات الزيادة المستمرة في أعداد التلاميذ الملتحقين بهذا التعليم، فالذكور بدأوا بـ20 في 1884، وبلغوا 312 تلميذا سنة 1959، أما الإناث فقد انطلقت الأخوات بـ 40 تلميذة سنة 1893، ليصل عددهن إلى 158 سنة 1959. فالزيادة العامة كانت بمعدل 4-5 تلاميذ سنويا، أما التلميذات فبمعدل 1-2 تلميذة في السنة، وهي زيادة بطيئة نسبيا للتلاميذ، أما التلميذات فهي بطيئة جدا خاصة لدى نسبة المزابيات -التي لم تزد نسبتهن سنة 1959 على 06%- فرغم هذا التباطؤ العام لكنها مستمرة خلال هذه الفترة بشكل متفاوت حسب الظروف، وهذه الاستمرارية تدل على الإصرار الشديد من طرف الآباء والأخوات في سبيل تجسيد مشروعهم، وبنَفَسهم الطويل وعدم استعجالهم النتائج؛ لكن مع الأخذ بإغراءات مختلفة، ومن جهة أخرى فهي تدل على حجم المقاومة والرفض الذي لقيه المشروع الثقافي في المنطقة.

رابعا: أساليب المنصرين الدينية ودسائسهم:

اعتمد المنصرون في إستراتيجيتهم الدينية -في عموم الجزائر- بما فيها منطقة مزاب على خاصية التدرّج والتأني وعدم الاستعجال لسببين أساسيين، أما الأول حيث يكون ذلك سببا في استقرار المعتقدات المسيحية بشكل تدريجي في قلوب المسلمين، «لقد أدرك المنصرون أن التعجيل بالتنصير سيزيد من تمسّك السكان بمعتقدهم الأصلي، ويوصون بالتريث لأن عملية التحول الديني تقتضي الصبر والحذر وتحضير البراهين المتعددة اللازمة لذلك، وترك المستهدف حرا مدة من الزمن، حتى لا يندم بعد ذلك» (داود، 2016، صفحة 143) فلم يكترثوا للزمن بقدر اهتمامهم بنجاح سياسة التنصير في النهاية.

إذا كان الهدف الظاهر من هذه المدارس هو التعليم، فإن الهدف الحقيقي هو أبعد من ذلك، فقد مزج المنصرون من خلال دروسهم التعليمية في مدارسهم أفكارا مسيحية يبثونها عبر دروسهم، «حيث كان

الآباء يقدمون دروسا في التربية الروحية والأخلاق تسمى: "Le leçon de morale"، وهذه المادة تقوم بتعليم القيم كإتقان العمل والصبر والتسامح بالاعتماد على تعاليم الإنجيل في تدريسها، وكان قائد المركز أو المدير المسؤول مكلفا بالدروس الأخلاقية، أما الأساتذة اللائكيين(‡) المرافقين للآباء فقد تكفلوا بالتعليم التقني والتطبيقي» (لعواد ، 2018-2019، صفحة 132) كما يقول الأب نويي"Nouet": «أن المعامل والورشات هي المكان المناسب للتعليم، وتزويد التلاميذ بالأفكار المسيحية، وتشكيكهم في دينهم الإسلام، ثم تركهم بعد ذلك، ليبحثوا عن الحقيقة المسيحية» (داود، 2016، صفحة 143) كما أن الفتيات اللائي يترددن على ورشات التعليم المهني والنسيج والخياطة والطرز...، فيُلزمن على الصلاة والدعاء على الطريقة المسيحية مرتين في اليوم، عند الوصول صباحا وعند المغادرة مساءً (داود، 2016، صفحة 143) .

ومن دسائسهم بثّ سمومهم في صدور الأولاد حيث إن هذا التركيز يهدف إلى فصل الناشئة عن أصولهم وجذورهم الإسلامية «فالمنصرون أول ما يلقنون للأولاد هي كلمة الشرك ويكرّهون لهم الإسلام بالنيل من النبي الكريم عليه أزكى الصلاة والسلام كأن ومن المسلمين؛ فيقولوا لهم مثلا: «إن نبيكم لم يكن إلا راعيا من الرعاة فهو جاهل، أنظروا المسلمين وهم أغبياء ملطخون بالأوساخ، أنظروا كيف أنهم متأخرون في كل شيء في اللباس في الأكل في الشراب وكيف يتقهقرون بسبب دينهم الذي ينافي روح الرقي والتمدن» (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 10) فيشوهون لهم المسلمين ليجدوا سبيلا بذلك إلى الطعن في الإسلام ويصلون إلى اعتناق الديانة المسيحية.

من الفئات المستهدفة والمستقطبة من طرف النظام التعليمي للمبشرين، هو العنصر الأنثوي لمكانتهن في تربية وإعداد الأجيال في مستقبلهن: فتعليمهن مجانا هو لغاية خفية فهم يرون أن تنصير فتاة واحدة من المسلمات خير من ألف دينار (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 1) فالأنثى ذات مكانة هامة في المشروع التنصيري، فهي العنصر المؤثر خاصة في القيم التي تغرسها في أبنائها بعد زواجها، فإذا أعددت أما مسيحية فقد أعددت جيلا من المسيحيين.

(‡)هم الأساتذة الجزائريون في مدارس المبشرين لكنهم غير منتمين إلى جمعية الآباء البيض.

من بين الحيل التي اعتمدها المنصرون داخل مدارسهم إنهم يتساهلون مع تلاميذهم بأن لا يعاقبوهم إذا تخلّفوا عن أوقات الدراسة تأخرا أو غيابا حيث ورد في جريدة الأمة اليقظانية ما يلي: «حذّرنا الناس من دسائس المنصرين، من بين تلك الفخاخ إنهم يتساهلون مع تلامذة مدارسهم بأن لا يعاقبوهم إذا تخلفوا عن الأوقات وأن يطلقوا سراحهم إذا طلب أولياؤهم منهم ذلك في أثناء السنة الدراسية للسفر وغير ذلك، وإنما وضعوا لهم هذه التسهيلات مع أنها تخالف نظام التعليم القائم؛ ليصدّوا التلامذة عن المدارس النظامية؛ ليحولوهم إليهم فيوقعوهم في شباكهم باسم التعليم» (أبو اليقظان إبراهيم،، 1928، صفحة 2) بالإضافة إلى طرد بعض التلاميذ اليهود المشاغبين والتضحية بهم لأن المزابيين هم المستهدفون وليس اليهود (داود، 2016، الصفحات 131-132)

استغل المنصرون دروسهم بنفث سمومهم ضد الإسلام والمسلمين، فهم يعلمونهم مبادئ العلوم ثم يمزجون لهم تلك المبادئ بتعاليمهم الدينية «فيسقونهم بذلك عسلا مسموما، يلقنون لهم تلك المبادئ فيُخربون عقولهم ويستولون على حواسهم» (بوجناح، 1927، صفحة 2)

ومن دسائسهم أنهم يشككون في صحة القرآن الكريم، وأنه يأمر بما لم تأمر به الكتب السماوية وأنّ تعاليمه مخالفة لتعاليمها، فالقرآن لم يكن منزلا من السماء لأنه مخالف للكتب السابقة (سليمان بوجناح، 1928، صفحة 3) فهم يحاولون تشويه العقيدة وزعزعتها في نفوس المسلمين وأبنائهم الذين هم في الأصل غارقون في الجهل والبدع والخرافة كغيرهم في العديد من مناطق الوطن الجزائري.

كما أن المنصرين يبثون سمومهم حسب الفئات التي يخاطبونها فيخاطبون العامة باللغة الدارجة ويخصصون لهم حكايات بسيطة سهلة الفهم ويخاطبون الطبقة المتعلمة أو العالمة بأسلوب عال، في مسائل مثل فلسفة الأديان التي تصعب على المسلم الذي لم يتشبّع بروح الدين الإسلامي فيرتد بدون أن يشعر» (سليمان بوجناح، 1928، صفحة 3) مستغلين ما عرفوه وتعلموه عن الإسلام وثقافتهم فيحاربون بها المسلمين.

وسعيا للمزيد من الإقبال على مدارس الآباء البيض، فقد قاموا بإدراج تعليم اللغة العربية ضمن المقرر الدراسي بالإضافة إلى استقدام معلمين جزائريين بداية من سنة 1919 (داود، 2016، الصفحات 138-139).

ومن بعض الوسائل التي يقوم بها المنصرون في مزاب لجلب المسلمين استغلالهم العرض بالسينما لكي يتهافت السكان إليها: «ونصبوها كالفخ لاصطياد الشباب والشيوخ» (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 11) فتخصيص فقرة لعرض الأفلام مساء الجمعة، ليست موجهة للتلاميذ فحسب بل إلى أوليائهم؛ وتتم مناقشة ما تمّ عرضه بعد ذلك فهي وسيلة لجلب أكبر عدد من فئات المجتمع بغية تقبلهم في أوساطهم.

خامسا: تصرفات المنصرين ضدّ العوائد الدينية للمزابيين:

إذا كانت تصرفات المنصرين تهدف إلى تنصير سكان مزاب باستهداف تلاميذ بين جدران مدارس التعليم العام وتلميذات في التعليم المهني، فإن أعمالهم لم تتوقف في حدود أبواب مدارسهم والانشطة المعلقة بها، بل بلغت بهم الجرأة إلى نقلها إلى خارج المدرسة باستفزازهم للسكان وبمضايقاتهم لعاداتهم ومناسباتهم الدينية، وتورد جريدة "وادي ميزاب" هذا الحادث الذي وصفته بـ"الحادث الفظيع" ما يلي: «من أفظع حوادث المنصرين بوادي ميزاب ما وقع في هذه الأيام بغرداية: وذلك لأن لأهالي ميزاب موسما من مواسمهم السنوية الدينية يسمى «بالزيارة» يقيمونه بعد إدراك الزرع، يخرجون فيه لزيارة مشاهد ومقامات أسلافهم المصلحين يقرؤون فيها القرآن ويفرقون فيها الصدقات ويلجؤون إلى الله بالأدعية الصالحة والشكر لله على حفظه ورعايته لهم وإصلاح غلالهم (...) وكان موسم أهالي غرداية يوم الاثنين 2أفريل1928، وبينما هم جالسون محلقون يقرؤون القرآن ويفرّقون الصدقات إذ جاء بعض المنصرين بتلاميذهم ومشوا حذو مجلس القرآن ينشدون أناجيلهم بنغمات تشوش قراءة القرآن وهم في أثناء ذلك يصفقون، وأخذوا شيئا من» (أبو اليقظان إبراهيم، 1928، صفحة 2) مما يدل على بلوغ هؤلاء المنصرين حدّ الجسارة والتحدّي المباشر للسكان، ورغم أنهم يتفادون الاحتكاك المباشر بالمسلمين، إلا أنه من الواضح أنهم لم يكونوا ليصلوا إلى تلك الدرجة لولا وقف الإدارة وأذيالها خلفهم تأييدا ودفاعا.

سادسا: مقاومة التعليم التنصيري في مزاب:

تجلّت مظاهر الرفض والمقاومة للمشروع التعليمي التنصيري في منطقة مزاب على مستويات عديدة، على مستوى العلماء وهيئات المجتمع المزابي، ثم على مستوى أفراد المجتمع، وأخيرا النضال والمقاومة الصحفية.

ويبرز من بين مواقف العلماء في مزاب، موقف العلامة القطب الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش(§)، حيث كان موقفه صارما، فبعد أن استطاع الآباء البيض كراء بيت في بني يزقن، أمر بسد باب البيت ببناء حائط عليه، لكيلا يجدوا للخروج منه سبيلا (حاج إبراهيم، 2014، صفحة 321) كما ألف كتابا في 1286هـ/1870م عنوان "رد الشرود الى الحوض المورود" الفه لتكذيب شبهات ودعاوي المنصرين وزيغها حول الرسول عليه الصلاة والسلام (أورغي، 2014، صفحة 293)

أما الهيئات الدينية والعرفية، على رأسها العزابة فقد حرّمت التعامل مع المنصرين، فقد كانت تعلنّ البرآءة(**) من كل من يتصل بهم، كما أن هيئة "تيمسيريدين"(††) قامت باي وسيلة لمنع النساء في الدخول في علاقات مع الأخوات او تسليمهن أولادهن، والتوعية من خطورة ذلك، والرفض المطلق لدخول الأخوات البيض إلى منازل المزابيين أو من إقامة علاقات مع الأهالي (Abrous, 2007, p. 90) إلى درجة اعتبارهم نجسا وعلى كل من اضطر إلى التعامل معهم أن يغسل يديه، فلقيت هذه الدعوات استجابة في المجتمع النسوي المزابي، ومن أبرز المقاوِمات في هذا النشاط العالمة الداعية "مامة بنت سليمان"، مما جعل الاستعمار يصنفها ضمن العناصر المشوشة، وشدّدت الرقابة عليها (داود عمر،، 2016، الصفحات 133-135) كما أن هيئة الجماعة في بني يزقن تقدّمت في 10 جانفي1914 بشكوى للسلطات الفرنسية ضدّ قيام المنصرين بالبحث عن محل بالبلدة قصد شرائه أو كرائه (بن بكير، 2006، صفحة 210)

وقد اعتُبر أن تجاوز المنصّرين لعتبة منازل المزابيين أمرا مرفوضا ويدنس من سمعتهم (بن بكير، 2006، صفحة 210)، ويتفادون التعامل معهم في الشوارع والأسواق.

(§)امحمد بن يوسف أطفيش (1818-1914) قطب الأيمة والعلامة الاباضي والجزائري والإسلامي، رائد النهضة العلمية في الجنوب الجزائري، ركّز جهوده على التعليم والتأليف لمحاربة الجهل والخرافة والاستعمار، ترك العديد من المخطوطات التي تزخر بها خزائن مزاب، وخاصة مكتبته في بني يزقن.

(**)نظام ديني واجتماعي يستمد شرعيته من عقيدة الولاية والبراءة عند الاباضية، بحيث يتم التبرؤ من كل من جاهر بالمعصية أو خالف أعراف الجماعة، ويكون ذلك بمقاطعة التعامل معه في مختلف المعاملات غلى غاية إعلان توبته في المسجد.

(††)وتعني هيئة الغاسلات، وهن المنتسبات إلى هيئة المشرفات على المجتمع النسوي في المجتمع المزابي، إرشادا وتعليما وتوجيها، وهي تابعة لهيئة العزابة، وهي تتميز بالصرامة في الحفاظ على الضوابط الشرعية وعوائد المجتمع في المجال النسوي.

كما أن أهالي مزاب رفعوا عريضة احتجاج إلى الحكومة على صنيع هؤلاء في عيد "الزيارة" –التي سبق الحديث عنها– وعزموا على تتبع المسالة، كما دعوا ممثلي الإدارة في مزاب والاغوط والوالي العام لمراقبة أعمال المنصرين (أبو اليقظان إبراهيم، 1928، صفحة 2).

شبّه المنصّرون منطقة مزاب بمكان مقدس يتعذّر التسلل إليه، حيث وجدوا العديد من الصعوبات في الحصول على بعض المعلومات حول لغة المزابيين واعتقاداتهم وعاداتهم لرفضهم التعرف عليهم، فوصفوهم بالكبرياء والعناد والغموض ومتزمتي الصحراء، ومن الصعوبة الوصول إليهم ومصاحبتهم، فضلا عن إقناعهم باعتناق المسيحية (لعواد، 2018–2019، صفحة 139) مما يدل على حجم المقاومة الدينية والثقافية.

أما المقاومة على مستوى الصحافة الوطنية الإصلاحية، فإننا سنقتصر على مقالات من جريدتي "وادي ميزاب" و"الأمة" تحت إدارة الشيخ أبي اليقظان (‡‡) إضافة الى جريدة "الشهاب" الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين، فقد مثّلت مجالا ومنبرا هاما للمفكرين وللمناضلين المزابيين على رأسهم إبراهيم أبي اليقظان، وسليمان بوجناح الملقب بالفرقد (§§)، وقفوا ضد الاستعمار ومعاوله لهدم مقومات الأمة الجزائرية الإسلامية، انتقدوا كثيرا سياسة التنصير عامة في الوطن الجزائري والجنوب وعموما وفي منطقة مزاب خصوصا. منها كشف السياسة التنصيرية الثقافية، من مختلف جوانبها وكشف المؤامرات والدسائس التي سبقت الإشارة إلى بعض صورها.

ذكّر أبو اليقظان الاحتلال الفرنسي بتعهداته للجزائريين في البيان الذي وزعه، غداة احتلال الجزائر وفي معاهدة الاستسلام باحترام العوائد الدينية والشعائر المحمدية وعدم المساس بها، ويقول: «عندما نزلت

(‡‡) إبراهيم أبو اليقظان (1888–1973): من أعلام الجزائر المعاصرة، ترأس أول بعثة علمية مزابية منظمة نحو تونس، رائد الصحافة الوطنية، أنشأ ثمانية جرائد إسلامية وطنية باللغة العربية ما بين (1929–1938) من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعضو في مكتبها، له العشرات من المؤلفات بين كتاب ومخطوط.

(§§) بوجناح سليمان بن يحي (الفرقد) (1905–1988): من المناضلين الوطنيين في الجنوب الجزائري، من ضمن تلاميذ البعثة التونسية، زاول التعليم الثانوي الرسمي، اشتهر بنضاله الصحفي في الجرائد اليقظانية وجرائد جمعية العلماء، وبسبب انتقاده اللاذع لمشروع التنصير في منطقة مزاب خاصة، فقد حرم من إكمال تعليمه الرسمي إضافة الى نفيه مرتين في بني عباس وأدرار.

فرنسا بالجزائر في سنة 1830 كان أول ما تعهّدت به للمسلمين احترام ديانتهم وآدابهم، وعندما نصبت حمايتها على "وادي ميزاب" في سنة 1853 كان أول ما التزمت به للمسلمين احترام ديانتهم وآدابهم، وقد اعترف ساستها بذلك التعهّد، وهذا الالتزام في قراراتهم ولوائحهم كلما مسّت لذلك حاجة وسنحت له الفرصة، وما زالوا ولا يزالون كذلك إلى الآن» (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1).

وقد تفطن أبو اليقظان لهذا الوباء القتّال وأعلن منذ بداية نضاله الصحفي بأن التنصير في عمومه هو آلة استعمارية في ثوب كهنوتي، وأن الغزو الفكري الذي تخطّط له السلطات الاستعمارية إنما يتخذ من هذه المراكز أسلحة خفية له (صالح، 2018، صفحة 82).

يكشف الفرقد النوايا الحقيقية لمشروع التنصير في وادي مزاب، بقوله: «إذا نام الميزابيون فإن أولئك المنصرين بالعكس من ذلك فقد اجتهدوا في فتح المدارس والمعامل للشبان المسلمين، فقد أنشئوا في غارداية عاصمة ميزاب خمس مدارس في حين لم يفتح المسلمون لحد الآن لأولادهم ولو مدرسة واحدة، وهل هذه الجهود منهم حبا في المسلمين وفي ترقية مدارسهم ترقية صحيحة؟ إن الأعمال بنتائجها، فلننتظر من الآن طلائع هذه النتائج السود في المستقبل» (أبو اليقظان إبراهيم، 1928، صفحة 2) فبقدر ما أراد الفرقد أن يكشف النوايا الخبيثة لهؤلاء من خلال تعليمهم، فقد أراد استنهاض بني قومه لكي يقفوا أمام هذا المشروع، ويحاربوه من جنس عملهم ببناء مدارس تقوي العقيدة والغيرة الدينية في قلوبهم لتقيهم من شرور وكيد هؤلاء.

وكشف أبو اليقظان تواطؤ الحكومة مع المنصرين في خرق تلك الالتزامات، فيقول: «لقد كتبنا في أمر هؤلاء جريدتنا "وادي ميزاب" كثيرا وأسلنا فيها من المداد انهارا محذرين لهم من الاحتكاك بالمسلمين ومن خرق تعهّد والتزامات فرنسا ومنبهين للمسلمين من مكرهم ومن مكائدهم وعدوانهم للإسلام، ومع الأسف أساءت الحكومة فهمنا ففسّرت حملتنا على المنصرين بالحملة عليها؛ الأمر الذي يجعلنا نتساءل هل أنها هم وأنهم هي؟» (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1).

كما فضحت الجريدة العلاقة الكامنة بين الحكومة والمنصّرين فكما ناصر المنصرون السياسيين فقد ناصر السياسيون هؤلاء المنصرين، فكان عمل المنصرين محاربة القوة الإسلامية المعنوية وعمل السياسيين محاربة القوة الإسلامية المادية (سليمان بوجناح، 1928، صفحة 2) فنجاح المشروع الاستعماري حسب المنظومة الاستعمارية قائم على ركيزتين مادية وهي السياسة الاقتصادية لسلب الجزائري رزقه وقُوتَه، ومعنوية لسلب هويته الدينية والاجتماعية.

كان منتقدو التعليم التنصيري في مزاب يذكّرون كل مرة الاحتلال بوعوده ومبادئه القائمة على أفكار الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان والمواطن، فكانت مناسبة تشكيل الحكومة الشعبية في جوان 1936، القريبة إلى هموم سكان المستعمرات وحملها للفكر العلماني- فرصة لتذكير حكومة الاحتلال مرة أخرى بوعودها ومبادئها: «فرغم تعهد فرنسا والتزامها للمسلمين باحترام ديانتهم! ورغم إعلان فصل الدولة عن الكنيسة فيما مضى؟ ورغم عهدنا الجديد هذا —عهد الحكومة الشعبية اللائكية- فإن جماعات المنصرين مازالوا ولا يزالون يلهون ويمرحون دائبين في خططهم الماكرة. وهم يجدون في الحكومة كل مناصر وآزر، ويلاقون منها التشجيع وهم على باطل ما لم يلاق المسلمون منها وهم على حق!» (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1) مع تحذير الحكومة ما ينجر عن هذا التواطؤ من أضرار: بفقد الثقة نحوها في قلوب رعاياها المسلمين، ويحفرون هوة عميقة بين الأمة والحكومة (أبو اليقظان إبراهيم، 1928، صفحة 3) فالدعوة هنا إلى الإدارة التخلي على الأقل عن هؤلاء إذا أرادت الحفاظ على علاقة حسنة مع الجزائريين.

ويتساءل الشيخ أبي اليقظان عن سبب بناء المؤسسات التنصيرية مثل بناء كنيسة في المنيعة إضافة إلى مؤسسات التعليم، «فهل هي لجماهير المسيحيين المنتشرين هناك؟ فليس هناك منهم إلا أفراد؟ ولمن شيّدت إذا؟ أليس لغزو الإسلام في القلوب؛ واقتطاع مضغة الإيمان من بين الجُنوب؟ وليس الغرابة في هذا فقد واتخذوا صحافة العصر لسانا؛ إشادة بهذه القلعة» (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1).

أما نشاط الآباء والأخوات وجرأتهم، فإن كانت مستمدة من حماسهم والتأييد غير المحدود من السياسيين، فإن الغريب هو أن للأهالي نصيب ومسؤولية من نجاحهم في التمدد بينهم في أوساط الجهل والغفلة (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1) فلولا قابلية المسلمين للتنصير لما نجح المنصرون في ذلك ولما تزايد عدد التلاميذ المسلمين في مقاعد حجراتهم المدرسية.

وانتقد أبو اليقظان هؤلاء المغفلين من الارتماء في حضن المنصرين عن غفلة وإخراج أبنائهم من المدارس النظامية (أبو اليقظان إبراهيم،، 1928، صفحة 2) وينتقد هذه الغفلة من الآباء الذين يرسلون أبنائهم إلى تلك المدارس معتقدين أن لهم مزية في ذلك، لأنهم تكفّلوا بتربية أولادهم وتهذيبهم وتعليمهم وتدريبهم على المهن مثل النجارة والطرز والنسج والفلاحة الخ... وهنالك من يخرج ولده من المدرسة ليسلمه للمبشرين لأنهم يعلّمون مجانا وبدون ضبط ولا نظام ولم يتفطّنوا بأن المنصرين لا يهنأ لهم بال ما لم يجنِّسوا أولئك بجنسيتهم الدينية المسيحية (بوجناح ، 1927، صفحة 2)

وتنتقد جريدة "وادي ميزاب" حادثة اعتداء المنصرين وتلاميذهم على مجلس تلاوة القرآن في مزاب «فإذا هم لم يحترموا الإسلام فليحترموا أصحاب البلاد التي آوتهم، وإن لم يحترموا لا هذا ولا ذاك فليحترموا الدولة التي أكرمت مثواهم وأنزلتهم منزلة الحفاوة والكرامة، وهل الاعتراف للمسلمين بالجميل إذايتهم في دينهم وقرآنهم المجيد؟ وهل من احترام دولتهم إذابة الذين حمتهم برعايتها وإثارة حفائظهم وهم آمنون مطمئنون يؤدون واجبا؟ منزوون في مكان منقطع من الأرض لا يؤذون أحدا ولا يتعرضون لأحد؟» (أبو اليقظان إبراهيم، 1928، صفحة 2) مستجديا كل مرة الحكومة التدخل من أجل إلزامهم لحدودهم.

وفي رد الفرقد على كاتب سخّر قلمه للدفاع عن الأخوات البيض، حيث ينتقده قائلا: «يزعم الكاتب أنه باشر أمرهن بنفسه واقتنع بأن نسوة لاسورات مخلصات في أعمالهن ولكن هل باشر العمل مع النسوة والبنات اللواتي يختلين خلوات لاسورات من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة الحادية عشر ومن الساعة الأولى بعد الزوال إلى الخامسة مساء حتى يتحقق بأنهن لا يخضن في أمر الديانة أثناء هذه المدة كلها (...) وهل تساءل هذا الكاتب كيف تؤدي تلك المسلمات فرائضهن الدينية وهن كل يوم عاكفات في خلوات لاسورات من الزوال إلى الغروب عدا يوم الأحد؟ إن في هذه الأسئلة نوعا من التعصب الديني الذي يرمينا به الإفرنج» (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 1)

أما الحل في مواجهة هذه "الشرذمة" فيعتقد الفرقد أن الحل بيد المسلمين الجزائريين فما على الآباء والأولياء إلا إنقاذ أبنائهم منهم «وبعبارة أوضح أن النار تطفأ أو تزيد التهابا على حسب قلة أو كثرة الحطب» (سليمان بوجناح، 1928، صفحة 2) فإذا غضّت الحكومة الطرف على هؤلاء فإن المسؤولية تقع على المسلمين بمنع أبنائهم من التردد على مدارسهم وتجمعاتهم (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 10)، والتي يقصد بها المدارس الاسلامية العصرية التي كثيرا ما كان يدعو لها، ويحذر الأولياء ممن يتوهم بأنه يكفي أن يقوم بتربية ابنه في المنزل لتحصين عقيدته من أولئك المنصرين غير أن ذلك صعب تجسيده بسبب ان عقل الطفل كالطفل كالمرآة ينعكس عليها كل شيء (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 10)

وفي الأخير يطلب الوطنيون من المنصرين المغادرة فلا حاجة إلى تعليمهم وعلاجهم «كفّوا عنا أيها المنصرون إذايتكم لنا وإفساد ديننا وأخلاقنا باسم التعليم والتطبيب ودعونا من تعليمكم وتطبيبكم وعلّموا أنفسكم وداووا أنفسكم فقد أغنانا الله عنكم وعن تعاليمكم بالإسلام احترموا ما تحترمه الدولة من ديننا وآدابنا، ولا تعكروا ما بيننا وبين أمتكم من العلاقات بدسائسكم وحيلكم فإن ذلك لا يعود إلا بالشر

والعواقب الوخيمة» (أبو اليقظان إبراهيم،، 1928، صفحة 2) ولا خير في نعمة مدسوسة بنقمة (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 11) وينصحهم بالانشغال بخدمة أمتهم فهي الأولى باهتماماتهم فليسرعوا إلى عواصم أوروبا وينتشلوا أبناء جنسهم من مهاوي الفساد والضلال. فذلك أولى لهم وأنفع من إقلاق المسلمين بهذياناتهم وتشويش عقولهم وجرح عواطفهم لأن المسلمين لهم دينهم الذي يشمل جميع الأديان، لهم أشياخهم وعلماؤهم ومساجدهم فلا حاجة لهم بسفاسف المنصرين» (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 2)

ووقوفا على نتيجة التعليم المسيحي فقد كانت أجسادا خاوية ومغتربين عن دينهم وقوميتهم «فحصنا سيرة أكبر تلاميذهم وماهي أخلاقه فوجدناه عقوقا لوالديه وسخرية بدينه وقوميته» (بوجناح سليمان، 1928، صفحة 2)

ومن أجل وقف هذا المعارضة وإسكات تلك الأقلام التي حاربت التنصير ونواياه الحقيقية خاصة من خلال التعليم، فإن الاحتلال قد وقف إلى جانب المنصرين، الذين اشتكوا مرارا على هذه الممارسات والمقالات الصحفية، فاستجابت لهم السلطات الاستعمارية فضيّقت على المصلحين وسجنتهم، وعطّلت جرائد منها جريدة وادي ميزاب (أبو اليقظان، 1938، صفحة 1).

الخاتمة:

لقد كان الاهتمام بالتنصير والتعليم المسيحي إحدى الطرق التي اعتمد عليها المنصرون للقضاء على هوية الجزائريين وطمس هويتهم، بما في ذلك منطقة مزاب، ولم يكن التعليم الوسيلة الوحيدة بالإضافة إلى طرق أخرى مثل بناء الكنائس ودور العبادة، والعلاج المجاني ومواساة الفقراء، والدعوة إلى تعاليمهم في الشوارع والأسواق وتوزيع كتبهم، فالغاية القصوى عندهم نشر المسيحية للقضاء تدريجيا على الإسلام، وأية وسيلة توصلهم إلى تلك الغاية فهي حسبهم طريق مشروع يجب العمل عليه، وبعد تركيزنا في هذه الدراسة على المشروع الثقافي وبخاصة التعليمي، نستخلص النتائج التالية:

- التنصير في منطقة مزاب جزء من إستراتيجية تنصيرية عامة في الجزائر وفي العالم الإسلامي.
- التخطيط الدقيق في هذا المشروع باستهداف الصبيان من خلال تعليمهم بإبعادهم عن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم.
- تعدد وسائل المنصرين لتنصير أكبر عدد من سكان المنطقة، مع الأخذ بعين الاعتبار تفادي المواجهة المباشرة مع السكان، وبالنفس الطويل، الذين تجسد في ممارساتهم.

- اعتبار التعليم من أهم وسائل المشروع التنصيري، باعتباره مكانا لنقل تعاليم المسيحية إلى الأطفال، كما انه تميز بوتيرة بطيئة لكنها لم تنقطع.

- تعبير سكان المنطقة عن رفضهم المطلق لمشروع التنصير في جملته، خاصة نشاطاته التعليمية، ومارسوا هذا الرفض بمقاومة شاملة؛ سواء بوسائل إعلامية في المساجد والصحافة، أو ميدانية بمقاطعة التعامل مع المنصرين وإرسال الأبناء إلى مدارسهم، أو سياسية بدعوة الإدارة الاستعمارية إلى إن تكفيهم شرّ هؤلاء.

- سعي المزابيين من خلال الصحافة الوطنية اليقظانية أو صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى كشف مؤامرات ودسائس وفخاخ المنصّرين.

- حاولت النخبة المحافظة والإصلاحية في المنطقة ترسيخ مشروعها التعليمي الإسلامي العربي، خاصة التعليم العصري من طرف الإصلاحيين لاستقطاب أكبر عدد من أبناء المنطقة ولمواجهة المشروع الاستعماري الثقافي بشتى إشكاله الرسمي والمهني والتنصيري، فالمنطقة كانت محل تنافس بين مختلف هذه المشاريع.

- يمثل رفض التنصير عموما والتعليم مسيحي خصوصا من مظاهر المقاومة في بعدها الديني الثقافي

- رغم تزايد عدد التلاميذ وتوسعة مدارس المنصرين إلا أنه الفئة كانت محدودة جدا خاصة من المزابيين، والسبب يعود إلى دور المسجد ومدارس التعليم الإسلامي والعربي التقليدي منها والعصري، بالإضافة إلى التوعية الدينية والاجتماعية بخطورة إرسال الأبناء إلى أحضان المنصرين.

- انحسار المشروع الثقافي الاستعماري باستقلال الجزائر، وتغير اسم مركزه إلى المركز الثقافي للوثائق الصحراوية، ولا يزال يقدم إلى الآن خدمات توثيقية تاريخية، وأخرى تعليمية بتقديم دروس للغة الفرنسية.

- تبقى الصحافة الوطنية مصدرا ثريا يخفي في ثناياه العديد من القضايا ذات الأهمية البالغة.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم أبو اليقظان. (5 أفريل, 1938). ماذا يريد المبشرون بالمسلمين؟، عند تراب الجنوب تجد الخبر اليقين. جريدة الأمة (161).
2. أبو اليقظان إبراهيم. (27 أفريل, 1928). حادث فضيع من المبشرين بوادي ميزاب، جريدة وادي ميزاب (80).
3. أبو اليقظان إبراهيم. (27 أفريل, 1928). خطورة التبشير بوادي ميزاب. (80).
4. أبو اليقظان إبراهيم. (30 3, 1928). يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب. وادي ميزاب (76).

5. أبو اليقظان إبراهيم، (7 ديسمبر, 1928). افتحوا أعينكم أيها الغافلون، جريدة وادي ميزاب (111).

6. الحاج سعيد يوسف بن بكير. (2006). تاريخ بني ميزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية (المجلد 2). غرداية: المطبعة العربية.

7. المهدي البوعبدلي. (10-22جوان 1973). آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر وبعده. الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو، (صفحة 1343).

8. بن عمر الحاج موسى. (2015). مزاب وقضايا الوطن والأمة، ج1 (المجلد 1). الجزائر: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

9. بوجناح سليمان. (27 4, 1928). "الفرقد"، حركة التبشير في العالم الإسلامي (مؤتمر التبشير العالمي). جريدة وادي ميزاب (80).

10. بوجناح سليمان. (2 فيفري, 1928). "الفرقد"، نحن والمنصرون. جريدة الشهاب.

11. بوجناح سليمان. (23 مارس, 1928). "الفرقد"، يخربون بيوتهم بأيديهم. جريدة وادي ميزاب (75).

12. حاج أمحمد حاج إبراهيم. (2014). دحض الدعاوي التنصيرية في جزائر الاستعمار الفرنسي عند الشيخ أطفيش؛ كتابه: رد الشرود إلى الحوض المورود نموذجا، 10. الملتقى الدولي الثاني للعلامة أمحمد بن يوسف أطفيش الجزائري، ج2، /. كلية الآداب اللغات الأجنبية، جامعة غرداية.

13. داود عمر، (2016). الحركة التبشيرية في الجزائر، الجزائر: دار نزهة الألباب.

14. سليمان بوجناح. (17 نوفمبر, 1927). "الفرقد"، دسائس المبشرين في بلاد الإسلام. جريدة وادي ميزاب (57).

15. سليمان بوجناح. (27 7, 1928). "الفرقد" "شؤون وشجون"، جريدة وادي ميزاب (93).

16. سليمان بوجناح. (15 جوان, 1928). "الفرقد"، "مسألة التبشير والمنصرين (2) "، جريدة وادي ميزاب (87).

17. عبد الحكيم أورغي. (2014). الخطاب الإباضي الثائر على الهيمنة الاستعمارية الفرنسية وتأسيس الهوية الوطنية الجزائرية، المصلح محمد بن يوسف اطفيش أنموذجا (1821-1914/1236-

1332)، الملتقى الدولي الثاني للعلامة أمحمد بن يوسف أطفيش الجزائري، ج2، كلية الآداب اللغات الأجنبية، كلية الآداب اللغات الأجنبية، جامعة غرداية.

18. عمر داود. (2016). الحركة التبشيرية في الجزائر. غرداية: دار نزهة الألباب.

19. كنزة لعواد. (2018-2019). السياسة التنصيرية في الجزائر العاصمة ووادي مزاب، 1830-1962 مذكرة ماستر. بسكرة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر.

20. مجموعة من الباحثين، (2008). معجم مصطلحات الإباضية، ج2 (المجلد 1). سلطنة عمان: وزارة الأوقاف الشؤون الدينية.

21. مزيان سعيدي. (دت). النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري وأساليب المقاومة الجزائرية له (1867-1892). الجزائر: دار سيدي الخير للكتاب.

22. ناصر (محمد) صالح. (2018). أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج1. الجزائر: دار ناصر للنشر والتوزيع.

23. وعلي محمد الطاهر. (1988-1989). التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904: دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير. قسم علم النفس وعلم التربية، جامعة الجزائر